غيوب

مجموعة شعر لجورج رجي

مطبعة ريحاني ـ بيروت ـ ١٠٠ ص

*

كما ان الورود تختلف فيما بينها لونا وعطرا وتتباين حجما وشكلا ، كذلك الشعر ، وكذلك الشعراء . فليس هناك في الدنيا كلها شاعران كانت لهما نفس الصفات ، او تتبعا نفس الطرق حتى راسين منافس كورني على عرش المجد والسؤدد ، لم يلبث ان ادرك بعد كتابه الاول « التيبابيد او الاخوة الاعداء » ، الذي اراد فيه ان يقلد خصمه ، عبثا على كل حال ، ادرك ان العنف ليس من طبيعته ، ولا من صفاته ،هو الرقيق ، المتأرجح العاطفة . فنفض عن نفسه حب التقليد الاعمى ، وراح يكتب مسرحياته التي تفيض كلها بعذوبة قل ان نجد لها بين المسرحيات مثيلا !

فالذاتية اذن شيء محتم في كل فن رفيع : أكان ذلك في الشعر او الرسم او النحت او الموسيقى . فلكل فنان شخصيته ، وميوله ، واهدافه ونزعاته . اي ان لكل واحد طبيعته ، وبالتالي طابعه .

وما لم نتفهم ذلك جيدا ، فاننا قمينون بأن نظلم شاعرنا هذا الذي نتحدث عنه ، وان نقسو على كتابه .

فجورج رجي الصحفي الاديب الشاعر ، قد ترك بكتابه « غيوب » الجادة المعبدة ، وراح يفتش لنفسه عن طريق خاصة يسلها او بالاحرى يشقها ، يريد في قرارة نفسه ، ان ينحو نحوا مبتدعا ، ان يفتح فتحا جديدا !

فشعره يختلف عن شعر غيره بخصب الخيال ، وسعة الافق ، وكثرة الالوان والالحان ، وان فقد الصورة ، او فقد الفكرة ، بكلام اصح . هو هنا شاعر يغني لنفسه ، ولنفسه فقط ، ولا يهمه بعد ، ماذا يقول عنه قراؤه .. وجيله !

فجورج رجي في قصائد كتابه التي تبلغ ست عشرة قصيدة ، يحلق بك في كل منها تحليقا أي تحليق ، بحيث يخلفك مبهور الانفاس لاهثا . فانت لن تستطيع ، قارئا ما كنت كتب الشعر ، ان تلحق به ، وتتبع خطاه . هو أشبه بالباشق يرتفع بضربة جناح الى كبد السماء فيروح يحلق حتى يختفي تماما . ثم يعود فيظهر لك من خلال السحب الكثيفة ، الفينة بعد الفينة ، كأنه ليرى ان كنت لا تزال تقتفي أثره ..

فجورج رجي اذن شاعر بكل ما في هذه الكلمة من معان . هو ، قبل كل شيء شاعر مرهف الحس ، جامح الخيال . فكأنه عشق الالوان والعطور والالحان ، او بمعنى اصح ، عشق الكلمة ، وعبدها .

ولنسمع ما يقوله عنه سليم باسيلا في هذا الصدد ، في مقدمته للكتاب : « فالصورة عنده ايقاع . واللون ايقاع . واللحن والخيال ايضا . واما هذا الايقاع ، فأجمله ، عنده ، ما يأتيك من القصائد التي لا فكرة فيها ، ولا صورة ، ولا عاطفة ، انما هي شعر ، فقط » .

فشاعرنا اذن يختلف عن غيره في كونه لا يعبأ بالفكرة ، تماما على نقيض الشاعر الريفي احمد الصافي النجفي . فبينما نرى هذا يعبىء كل جهوده لتحميل افكاره شتى الافكار والصور ، نرى جورج رجي يبتعد كما لو كان عمدا ، عن كل هذا ، كأنه لا يريد ان « يثقل » على شعره بشيء منه .

ولكن ذلك لا يمنع قصائده من ان تبدو أشبه بالفراشات الجميلة ، الساحرة الالوان ، الرائعة الزينة . ولكنها فراشات قبل كل شيء، اي انها مخلوقات لا حول لها ولا قوة ، ولا سلطان . هي لا تشبه النهر الزاخر بهدره ، ولا الطير الشادي بشدوه ، ولا الخضم بعمقه ، ولكنها مع ذلك لا تخلو من روعة وجمال ، تستطيع معهما ان تبعث الى قلبك ونفسك ، اذا ما مرت بك ، وانت مستلق في احد الاحراج ، تقرأ في كتاب ، احاسيس لا اعذب ولا أحلى ، فيخيل اليك ان قلبك قد استحال هو ايضا الى فراشة ترفرف مرحة مع رفرفات زميلاتها .

وقصيدته الحائية « طرب » : هي اجمل قصائد كتابه ، على الاطلاق . ولنسمعه ينشد :

رجوتك ، لا اسر ولا ابوح
وانت هوى ، على الدنيا يفوح
مداك التيه ، لا تلوى ، أهبت
زلال ـ منك ـ أم غارت سفوح
احن اليك ، فالكون اشتياق
وفي الاعماق ، اعياد تنوح

أرأيت الى البيت الاخير ما اجمله ، بل هل هناك ابدع وارق من جملة : « فالكون اشتياق » ؟

وعندما يقول في مقطع آخر من القصيدة نفسها :

عشقنا ، فالربيع صدى بكانا
وتطربنا بآهاتها الجروح

نكاد نرى الاخطل الصغير يطل علينا من خلال هذا البيت ليقول عاتبا : « حسبتني وحدي اله الصبابة في الشعر ! »

ولكن جورج رجي ، بعد هذا الابداع والتفوق ، يعود في قصائده الاخرى ، فيداني حدود الغموض . أو قل انه التعري يفرضه فرضا على كل قصائده ، فتبدو اشبه بأغصان الخريف : لا ورق ولا زهر ولا براعم ، بل عري ، عري فاضح ، يشابه عري صور كتابه .

ولكن انسانا بعد لم يقل ان اشجار الخريف ، بعبوسها ودكانة لونها ، ليست بجميلة ، او ليس لها من السحر الشيء الكثير .. انما هو جمال من طراز معين ، وشكل غير الشكل المألوف .

وكذلك كتاب غيوب !

جان سالمه

رسالة الغفران

منذ اشهر اخرجت دار المعارف الطبعة الثانية من « رسالة الغفران » لابي العلاء المعري بتحقيق الدكتورة بنت الشاطيء . واهم ما تمتاز به هذه الطبعة تصديرها بنص محقق لرسالة ابن القارح الى ابي العلاء التي تعد مفتاحا لرسالة الغفران وبدونها لا يمكن ان تفهم على وجهها الصحيح، والتي كانت السبب المباشر الذي دعا ابا العلاء الى املاء رسالته . كما تمتاز بمعارضتها على نسخة اخرى مخطوطة حصلت عليها المحققة من مكتبة جامعة الاسكندرية بعد صدور الطبعة الاولى . وتمتاز كذلك بتداركها لكثير من الاخطاء وتلافيها لبعض اوجه النقص التي وقعت في الطبعة الاولى ، ومن امثلة ذلك ان المحققة ـ في ص ٣٦٧ من الطبعة الاولى ـ كانت قد سمحت لنفسها ان تغير في عبارة لابي العلاء لتوافق رأيا لها او لبعض النحاة مخالفة بذلك جميع النسخ المخطوطة . وليس هذا بالامر السهل لمن يقدر للنصوص حرمتها ، فقد قال ابو العلاء « ويحك مماذا ؟ » فجاءت المحققة واثبتتها في المتن « مم ذا ؟ » ونصت على ذلك في الحاشية . وقد خالفت المحققة بذلك ابسط مباديء التحقيق العلمي وهي اخراج النص في صورة اقرب الى ما قاله مؤلفه وليس في صورة اقرب الى الكمال ، فضلا عن ان اثبات الف «ما» الاستفهامية اذا جرت قد اجازه جمع من اعلام النحاة فلم يكن هناك ما يبرر العدول عن رواية المخطوطات وقد لفت نظر المحققة الى هذا عقب صدور الطبعة الاولى ولذلك اثبتت الالف في الطبعة الثانية (ص ٤٢٥)

وفي ص ٣٢٩ من الطبعة الاولى اخطأت المحققة نفس الخطأ حينما خالفت رواية جميع النسخ لقول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فأثبتته :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين بالالباب ما تفعل الخمر

ولم يكن هناك ما يدعو الى العدول عن رواية المخطوطات لان في البيت روايتين ارجحهما ـ وهي اختيار ابن جني ـ برفع « فعولان » على ان « كان » تامة . وقد لفت المحققة الى ذلك واحلتها الى « الاقتراح » للسيوطي والى « ديوان » ذي الرمة » ولذلك روت البيت في الطبعة الثانية برفع « فعولان » (ص ٣٩٣)

وفي ص ٤٣٢ من الطبعة الاولى ورد قول ابي العلاء « لو اجتمع كل حيز منهن وهو فراد .. » وحارت المحققة في تخريج كلمة « فراد » وتشككت في صحة رسمها . وقد نبهتها الى تخريج وجيه لهذه الكلمة واحلتها الى « ضرام السقط » فاثبتته الدكتورة في الطبعة الثانية(ص٤٧٩)

وهنا اقف لاسأل المحققة الكبيرة التي تحرص دائما على ان تذيل امضاءها بانتسابها الى « الامناء » كيف سمح لها ضميرها الحي ان تجرد الآخرين من آرائهم لتنسبها الى نفسها ؟. الم تكن امانة العلم تقتضيها ان تنسب هذه الآراء وامثالها ـ وهي ليست لها ـ الى اصحابها بدلا من ان تنسبها الى نفسها ؟. الم يكن من حق اولئك الذين اسهموا معها في خدمة النص ان تذكرهم في المواضع التي انتفعت فيها بآرائهم بدلا من ان تتجاهلهم لتنفرد بالفضل دونهم ؟

اقول هذا لانني ـ تقديرا لمجهود الدكتورة الكبير في تحقيق نص الغفران ـ لم اشأ عقب صدور الطبعة الاولى ان انشر ملاحظاتي النقدية على النص في احدى المجلات الادبية وفضلت ان ارسلها الى الدكتورة المحققة في خطاب خاص ثقة مني في امانتها . لكن الذي حدث ان الدكتورة لم تكن عند حسن الظن بها فأخذت هذه الملاحظات واثبتت معظمها في الطبعة الثانية ونسبتها الى نفسها ، فكان هذا مفاجأة لي وللجميع .

وندع هذه الزلة ـ واعظم بها من زلة لاستاذة كبيرة ـ ندعها لننظر في النص فنجد فيه رغم ما بذلته المحققة من جهد مضاعف ـ بعض هنات يسيرة ، لولا ما اعرفه عنها من حرص على الاتقان وقدرة على التمام ما ذكرت لها منها ما يلي :

اولا : في ص ٦١ نقل ابن القارح عن ابي بكر الشبلي انه قال يوما مخاطبا الله : يا جواد . ثم امسك مفكرا وقال : ما اوقحني ! اقول لك يا جواد وقد قيل في بعض عبيدك :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وقد قيل في آخر :

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك معطيه الذي انت سائله

وعقبت المحققة على ذلك بقولها : المشهور ان البيتين كليهما قالهما زهير في مدح هرم بن سنان ويرويان هكذا :

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي انت نائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

دون ان تذكر لنا مرجعها في ذلك .

وفي رأيي انه لا معنى مطلقا لهذا التعقيب ولا مبرر للاعتراض على رواية ابن القارح او التشكيك في صحتها ، لان البيت الثاني (على رواية ابن القارح) من قصيدة قالها زهير في مدح حصن بن حذيفة بن بدر

الفزارى كما ذكر « الاعلم » في شرحه لديوان زهير (طبع المطبعة الحميدية المصرية ـ ط اولى ص ٣٢) . والقصيدة نفسها تنطق بذلك ، فزهير يقول بعد هذا البيت بعدة ابيات :

ومن مثل حصن في الحروب ومثله لانكار ضيم او لامر يحاوله

(وانظر كذلك نقد الشعر لقدامة ـ طبع الخانجي سنة ١٩٤٩ ط اولى ص ٥٩ ، ٦٠) .

ثانيا : وفي ص ١٢٣ جاء في المتن « وان في طمري لحضبا .. » وعقبت المحققة على ذلك بقولها : قد تقرأ « وان » بالكسر على الاستئناف لكن الوصل عطفا على معمول « علم الجبر .. ان في مسكني حماطة » انسب عندي لطول نفس الشيخ .

ولست مع المحققة فيما ذهبت اليه من جواز الكسر والفتح لان الكسر هنا واجب على الاستئناف لدخول لام الابتداء على اسمها المتأخر .

ثالثا : وفي ص ١٥٢ ورد قول ابي العلاء « والسح تمر صفار يابس ». وقد ضبطته المحققة بكسر الصاد في « صفار » . واختار ضبطهم بالضم . والصغير بمعنى واحد . ويؤيد هذا الضبط رواية بعض المخطوطات (تمر صفير) كما نصت على ذلك المحققة .

رابعا : وفي ص ١٩٨ ترجمت المحققة لابي عمرو الشيباني بقولها هو اسحق بن مراد الشيباني وقيل ابن مرار ـ عن القفطى ..

وذكر الترجمة بهذه الصورة يوهم شيئين : احدهما ان الاصح انه « ابن مراد » ، حيث ذكرت ذلك اولا ، وصدرت الرواية الثانية بكلمة « قيل » التي تفيد التضعيف . والاخر ان القفطى قد ذكر ذلك .

وكلتا الدعويين غير صحيحة ، فالارجح ـ بل الصحيح ـ انه اسحق بن مرار كما نص على ذلك القفطى وابن خلكان وياقوت . والقفطى قد نص على من ذكر انه « ابن مراد » مخطيء فهو يقول : فاما ابو منصور الازهري فانه ذكر في مقدمة كتابه التهذيب اسماء جماعة من علماء العربية منهم ابو عمرو الشيباني فأخطأ في اسم ابيه واورده مصحفا فقال « مراد » وهو خطأ كبير من مثله .

خامسا : وفي ص ٣١٤ عقبت المحققة على قول ابي العلاء « اخترص فما اترص » بقولها : « أترص الميزان واترصه فاترص قومه وسواه فقام واعتدل » .

وليست صيغة « اترص » ـ بهمزة قطع ـ « وترص » ـ بالتشديد ـ و« ترص » ـ بالتخفيف . كما لم تذكر لنا المحققة من اين اتت بصيغة « اترص » وقد ذكرت في الطبعة الاولى انها لم تجدها في كتباللغة(٢٣٥) وانا اقول لها ان الكلمة صحيحة وان لم تذكرها كتب اللغة واصلها «تترص» ثم ادغم التاءان واتى بهمزة الوصل . وهذا مقيس في كل ماض مبدوء بتاءين فصارت « اترص » (راجع المطولات من كتب الصرف ـ باب الادغام)

سادسا : وفي ص ٣٢٧ روى المعرى قول عدى بن زيد : الا ايهاذا الزاجري احضر الوغى .. وذكر الخلاف بين البصريين والكوفيين في نصب « احضر » ثم قال : وقد حكى المازني عن على ابن قطرب انه سمع اباه قطربا يحكى عن بعض العرب « احضر » . وسارعت المحققة فاستنتجت من هذه العبارة ان من البصريين من يجيز النصب كالكوفيين لان « قطرب » بصري (ص ٣٢٨) .

وعبارة ابي العلاء لا تسمح بهذا الاستنتاج . فكل ما يؤخذ منها ان « قطربا » سمع عن بعض العرب نصب « احضر » . اما انه يجيز القياس على ذلك كالكوفيين ـ وهو في هذه المسألة كذلك ـ فلا يجوز عند البصريين ـ ومنهم قطرب ـ القياس عليه مع سماعهم له واعترافهم بوروده .

سابعا : وفي ٤٢٦ ضبطت المحققة قول ابي نواس : نديم قيل محدثه ملك بضم الثاء وبعدها هاء ساكنة .

وصحته « محدثه » بثاء مفتوحة بعدها تاء المبالغة ساكنة . وهي مضافة الى لفظ «تلك» وهذا واضح من قول ابي العلاء بعد ذلك : وليس ينبغي ان يحمل على قول من وقف على الهاء كما قال يا بيذره يا بيذره يا بيذره ... لان هذا حسن فيه اظهار الهاء اذ كان الكلام يحسن السكوت عليه ، وقوله محدثه ملك ومضاف اليه (ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨)

ثامنا : وفي ص ٤٦١ جاء في المتن : « هذا الثور كان يعرف بخلف بحران » ـ بمنع « خلف » من الصرف . ولا وجه له الا على رأي ضعيف .

تاسعا : وهناك خطأ منهجي ما كنت احب للدكتورة المحققة ان تقع فيه. فهي تحيل في كثير من صفحات الكتاب الى المصادر دون ان تحدد الطبعة ومكان النشر مما يفقد الاشارة الى المصدر قيمتها ويكد الباحث اذا اراد الرجوع الى المصدر الذي احالت اليه المحققة .

عاشرا : والكتاب ـ بعد هذا ـ مليء بالتحريفات وبالاخطاء المطبعية والاملائية ولم تسلم من ذلك آيات القرآن الكريم مما شوه النص واخل بالمعنى في كثير من المواضع . وتحت يدي عشرات الامثلة لذلك لا اريد ان اشغل القراء بذكرها .

وبعد : فهذه ملاحظات عابرة على كتاب بذلت فيه محققته جهدا كبيرا سنين طوالا . واذا كنا نحاسبها على كل صغيرة وكبيرة ولا نغتفر لها حتى الهنات الهينات فما ذلك الا لثقتنا في رحابة صدرها ولما تتمتع به من مكانة علمية رفيعة . وايضا لان العمل اللغوي ـ كما ذكرت المحققة في مقال لها « بالاهرام » ـ عمل همزة ونقطة ونبرة وشولة .. وليس عملا بالجملة ولا هو مما يحتمل فيه الاعتذار بسهو الناسخ او غفلة الطابع .

القاهرة **احمد مختار عمر**

اعداد « الآداب » الممتازة

اطلبوا الاعداد الممتازة التي اصدرتها « الآداب » في اعوامها الماضية عن « القصة » و « الشعر » و « الفنون » و « المسرح »